مدارس الأقليات فى الدولة العثمانية

الباحث/محمد أحمد محمد
قسم التاريخ– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المقدمة:

منحت الدولة العثمانية اهتماماً بالغاً برعاياها من غير المسلمين وبصفة خاصة النصارى واليهود، وكان المبدأ الذى انطلقت منه هو دين الإسلام الذى فرض على الدولة الإسلامية رعاية مصالح كل من يندرج تحت لوائها، ولهذا فقد حصل غير المسلمين من أبناء الطوائف على مدى واسع من الحرية التى ضمنت لهم ممارسة شعائرهم الدينية، بالإضافة إلى حماية أرواحهم وممتلكاتهم التى كانت مسئولة عنها، وكانت حياة هؤلاء من غير المسلمين أفضل كثيراً مما لو كانوا يعيشون مع أبناء جلدتهم، لأنه من المعروف أن بعض الطوائف كانت تضطهد الأخرى وتاريخ أوروبا حافل بالكثير من أحداث الحروب والاضطهاد التى قامت على أساس دينى.

وكان هذا الاهتمام بالطوائف غير المسلمة واضحاً جلياً فى ظل الدولة العثمانية والتى شهدت تنوعاً دينياً ومن مختلف الأعراق تميز بالعيش المشترك والتداخل فيما بينهم، كما حظى رجال الدين من الطوائف غير المسلمة باعتراف السلطات العثمانية بهم، وحصلوا على امتيازات خاصة واستعانت بهم فى إدارة شئون طوائفهم بشكل مستقل، وأصبح هؤلاء يتمتعون بالمراتب الوظيفية وكانوا هم همزة الوصل بين السلطة وأهل الطائفة، ولم يتدخل العثمانيون فى إقامتهم لشعائرهم، وكانت الدوائر العثمانية ملجأ للحرية الدينية.

وكان التعليم فى الدولة العثمانية للطوائف غير المسلمة يعكس هذا الاتجاه للحرية الدينية وتوفير مدارس خاصة بهذه الأقليات الدينية غير المسلمة، فكان من حق كل طائفة دينية افتتاحها واختيار المناهج الدراسية الخاصة بها والمعلمين وإدارتها والإنفاق عليها على أن تكون هذه المدارس تحت ملاحظة مجالس المعارف الخاصة بكل منطقة جغرافية[1].

لقد كان "التعليم الأولى"، عند الأقليات غير المسلمة لا يختلف كثيراً فى جوهره عن التعليم عند المسلمين، أى أنه كان تعليماً دينياً يتم فى كتاتيب أو فى الأديرة أو الكنائس، وكان يضاف إليه تعليم "اللغة السريانية" التى كانت لا تزال فى القرن السادس عشر الميلادى هى لغة الطقوس الدينية لدى بعض الأقليات الدينية وأخذ يحل محلها فى القرن السابع عشر الميلادى اللغة العربية التى أصبحت لغة تلك الأقليات منذ ذلك القرن[2]، وكان التلاميذ

(1) عبد السلام عبد العزيز فهمى، السلطان محمد الفاتح، بيروت، 1975م، ص 45.
(2) شاكر الخورى، مجمع المسرات، مطبعة الاجتهاد، بيروت، 1980م، ص 15.

يتعلمون فى مدارس الأقليات القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحســـاب وقليل من المعارف الدينية واللغوية والعربية[3].

وكان يطلق على المعلم لقب "المؤدب" أو "المطوع" فى شرقى الجزيرة العربية وكانت هناك بعض الكتاتيب للبنات، ويطلق على الشـــيخة المعلمة لقب "الخوجة"، وكان التعليم فى الكتاب مجانياً أسسه بعض الأثرياء أو بعض رجال الدولة من قضاة أو ولاه وغيرهم.[4]

وقد يكون قد اختص بأوقاف معينة تصرف منها أجور المعلم وأحياناً ما يلزم تلاميذه من نفقات غذاء ولباس ولا ســيما منهم الأيتام والفقراء، أما إذا كان منشــأ الكتاب هو المعلم نفسه فإنه كان يتقاضى من كل طفل أجرة زهيدة تعرف بـ "الخميسية" لأن المعلم كان يتسلمها يوم الخميس من كل أسبوع، وقد تقدم فى القرى على شكل هدايا نوعية.[5]

ومن هنا جاءت هذه الدراسة تحت عنوان "مدارس الأقليات فى الدولة العثمانية" والله نسأله **التوفيق والسداد إنه ولى ذلك والقادر عليه.**

الهدف من الدراسة

(1) إزالة التشويه الكبير الذى لحق بالخلافة العثمانية بسبب أعداء الإسلام فى أوروبا بدافع من حقدهم الشديد على الإسلام ومن تبعهم من بعض مؤرخي الاسلام .
(2) تصـــحيح بعض المعتقدات الخاطئة الســـائدة حول طبيعة العلاقات بين مختلف الأعراق والطوائف الدينية التى احتواها المجتمع العثمانى.
(3) توضـيح حقيقة أن الدولة العثمانية كانت تكفل لرعاياها من غير المسلمين الحماية وممارسة شعائرهم الدينية مقابل ضرائب خاصة يدفعونها للخزينة (الجزية).
(4) التأكيد على حقيقة أن الكثير من الرعايا المسيحيين واليهود كانوا يتمتعون بحماية دول أوروبية معينة ولا يخضــعون للقوانين والأنظمة العثمانية المتبعة بما فى ذلك دفع الضرائب المستحقة.
(5) إبراز دور مناخ الحرية التى تتمتع بها الأقليات من خلال مدارس خاصـــة بهم سواءً أقامها أهالى منطقة معينة أو جاليات أجنبية فى تعليم عصرى متقدم.

خطة البحث:

وقد تم تقسيم خطة البحث إلى مبحثين كالآتى:

المبحث الأول: الأقليات فى الدولة العثمانية.

المبحث الثانى: مدارس الأقليات فى الدولة العثمانية.

---

[3] محمد فؤاد كوبرللى، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، 1967م، ص 64.

[4] محمد حســن العيداروس، الحياة الفكرية فى شــرقى الجزيرة العربية فى العهد العثمانى (1870 – 1922م)، المجلة التاريخية المغربية، عدد 57 ، 58، تونس، 1990م، ص 391.

[5] حسن عبد الملك الحسنى، تراجم أهل القدس فى القرن الثانى عشر، تقديم سلامة صالح النعمانى، عمان، 1985م، ص 124.

المبحث الأول
الأقليات فى الدولة العثمانية

برزت الإمبراطورية العثمانية على مسرح التاريخ سنة 1300م أو نحوها فى الجزء الغربي من آسيا الصغرى غير بعيد عن مدينة استانبول الحديثة، واستطاعت أن تتوسع غرباً وشرقاً بعد أن قهرت المملكة البيزنطية والغربية والبلغارية بالإضافة إلى الإمارات التركية فى الأناضول، وأخيراً دولة المماليك المتمركزة فى مصر، وبحلول القرن السابع عشر كان العثمانيون قد بسطوا سلطانهم على أراضى شاسعة فى غرب آسيا وشمال أفريقيا بالإضافة إلى جنوب شرقى أوروبا، والواقع أن الجيوش العثمانية حاولت وأخفقت مرتين فى فتح فيينا الأولى فى سنة 1529م والثانية سنة 1683م.[6]

تعتبر الإمبراطورية العثمانية من أعظم الإمبراطوريات فى التاريخ وأكثرها وأطولها عمراً، إذ شملت معظم الأراضى التى كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية الشرقية وأجزاء من شمال البلقان والشاطئ الشمالى للبحر الأسود، وهى أجزاء لم تخضع يوماً لحكم الدولة البيزنطية، ودامت الإمبراطورية منذ عام 1300م إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، وشملت الإمبراطورية بلدان غير عربية مثل بلغاريا، صربيا، اليونان، ورومانيا، إلى أن قال السياسى البريطانى غلادستون: "تم إخراجهم هم وأمتعهم من البلاد التى أخضعوها". لكن الحكم العثمانى عمر لفترة أطول فى البقاع الآسيوية والأفريقية من الإمبراطورية، ولا نغالى إذا قلنا أن الدولة العثمانية بقيت ما يقارب 600 عام على المسرح السياسى الأوروبى مثلها فى ذلك مثل فرنسا وملوك الهابسبورغ.[7]

مفهوم الأقليات

اشتق لفظ أقلية من مادة "قلل" وهى فى لسان العرب القلة ضد الكثرة[8]، وفى الزمخشرى: القلة والقل كالذل والذلة وإذا أخذنا تعريف اللجة الفرعية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة فإن تعريف الأقلية هو: "جماعات متوطنة فى مجتمع تتجمع بتقاليدها خاصة، وخصائص اثنية أو لغوية معينة تختلف بشكل واضح عن تلك الموجودة لدى بقية السكان فى مجتمع ما، وترغب فى دوام المحافظة عليها.[9]

---

(6) دونالد كواترت، الدولة العثمانية 1700 – 1922م، تعريب أيمن الأرمنازى، العبيكان، مطابع جامعة كامبردج، الرياض، السعودية، 2004م، ص 30.
(7) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثمانى، بيروت، 1967م، ص ص 64، 74.
(8) موسوعة لسان العرب.
(9) محمد مورو، الأقليات المشكلة والحل، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2009م، ص 16.

الأقليات غير المسلمة واندماجها فى مجتمع الدولة العثمانية:

كانت الدولة العثمانية تشمل رقعة واسعة من العالم امتدت بين قارات آسيا وأفريقيا وبعض أجزاء أوروبا، وقد احتفظت الأقليات الأخرى بأحقيتهم الدينية فعاشوا مع المسلمين جنباً إلى جنب فى ظل التسامح الدينى.[10]

فالدولة العثمانية هى التنظيم السياسى الوحيد الذى اعترف رسمياً بالأديان السماوية الثلاث، وأوجد نظامها السياسى تعايش سلمى يسوده الانسجام[11]، فقد بلغ عدد القوميات فيها حوالى 60 قومية، وكان لهذه القوميات دوراً فى بناء دولة حديثة قوية، أو فى إثارة مشاكل الأقليات التى استعصى حلها على الحكومات الحديثة إلا أنها تمكنت من إيجاد حلول لها[12]، وقد تعايش المسلمون وغير المسلمين فى المدن العثمانية معاً إذ تعلم غير الأتراك اللغة التركية، كما أن المصاهرة بين القوميات والأديان الأخرى كان أمراً عادياً.[13]

إن المجتمع الذى قامت الدولة العثمانية لتشيده كان مجتمعاً متعدد الملل والأعراف، ومن غير المقبول أن ينهض المجتمع دون الاعتراف بالتعددية بما لا يتعارض مع أهداف الدولة، وبالتالى استطاعت الدولة من تحويل هذه العناصر إلى نقاط فاعلة أعطت للنظام السياسى العثمانى قوة وحيوية مكنته من الاستمرار والامتداد وفتح دول جديدة، ولم يكن هناك تعارض أو صدام بين المجتمع والدولة، وعندما حدث ذلك الصدام كانت الدولة فى طريقها إلى السقوط.[14]

وتتضمن الأقليات فى العالم العربى وفقاً للترتيب الهجائى: "الآشوريين، الأرمن، الإسماعيلية، الأقباط، الأكراد، البربر، التركمان، الدروز، الزيدية، الضحراويين، الطوارق، العبيدين، العلويين، الكلدان، المارونيين، اليزيديين، اليهود فى العالم كله توجد ثمانية آلاف أقلية إثنية عرقية و 7600 لغة، ويعرف الباحث صلاح سعد الأقلية بأنها جماعة من الناس

---

(10) أحمد نورى النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، بيروت 1997م، ص 18 ، 21.

(11) بان غانم أحمد الصباغ، سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود فى الدولة العثمانية، دراسة تاريخية، مجلة التربية والعلم، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، العراق، مجلد 19، عدد 5، 2012م، ص 9.

(12) أحمد عبد الرحيم مصطفى، فى أصول التاريخ العثماني، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003م، ص 19.

(13) محمد فؤاد كوبرللى، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد سعيد سليمان، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ص ص 78، 82.

(14) كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة فى الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية، مكتبة مدبولى، القاهرة، 2002م، ص ص 225 ، 235.

تشـــكل عددياً أقلية بالمقارنة مع جماعة أخرى تعيش معها فى وطن مشـــترك تشـــكل الأغلبية.[15]

والآتى جداول توضح إحصائيات بأعداد السكان حسب الأديان والأجناس البشرية داخل الدولة العثمانية:

جدول رقم (1)

يوضح أعداد السكان بحسب الأديان فى الدولة العثمانية وفق إحصاءات عام 1840م[16]

الديانة	أوروبا	آسيا	أفريقيا	المجموع
مسلمون	4.5550.000	12.650.000	3.80.000	21.000.000
الروم الأرثوذكس	10.000.000	3.000.000	--------	13.000.000
الكاثوليك	640.000	260.000	--------	900.000
اليهود	70.000	80.000	--------	150.000
أديان أخرى	240.000	60.000	--------	300.000
المجموع	15.500.000	16.050.000	3.80.000	35.350.000

جدول رقم (2)

يوضح الأجناس البشرية وأعدادها التى كانت تقطن الدولة العثمانية وفق إحصاءات عام 1840م.[17]

الأجناس البشرية	أوروبا	آسيا	أفريقيا	المجموع
الأتراك	2.100.000	10.700.000	--------	12.800.00
اليونانيون	1.000.000	1.000.000	--------	2.000.000
الأرمن	400.000	2.000.000	--------	2.400.000
اليهود	70.000	80.000		150.000
السلافيون	6.200.000	--------	--------	6.200.000
الرومانيون	4.000.000	--------	--------	4.000.000
الألبانيون	1.500.000	--------	--------	1.500.000
التتر	16.000	20.000	--------	36.000
العرب	--------	850.000	308.000	4.685.000
السريان والكلدان	--------	200.000	--------	200.000
الدروز	--------	80.000	--------	80.000
الأكراد	--------	1.000.000	--------	1.000.000
التركمان	--------	85.000	--------	85.000
الغجر	214.000	--------		214.000
المجموع	15.500.000	16.050.000	3.800.000	35.350.000

[15] محمد مورو، مرجع سابق، ص 16.
[16] بان غانم أحمد الصباغ، مرجع سابق، ص 7.
[17] بان غانم أحمد الصباغ، المرجع نفسه، ص 8.

ومن خلال تتبع الإحصاءات المتعددة للسكان الموضحة فى الجداول السابقة فى الدولة العثمانية وفى مراحل زمنية متفاوتة، نجد أن السمة الرئيسية للأساس الديمغرافى والأثنى للدولة يتسم بالتنوع والتعدد الذى تتعايش داخله الديانات الثلاث (الإسلام ، النصرانية، اليهودية)، فضلاً عن التعدد الدينى فهناك التعدد القومى والمذهبى داخل الديانات الثلاث.

حرية الأديان والأقليات:

بعد الفتوحات الواسعة التى امتدت على ثلاث قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا حكمت الدولة العثمانية شعوباً عديدة اختلفت قوميتها وأديانها ولغاتها[18]، ضمت منطقة الشرق الأوسط كنائس متنوعة: (الروم، الأرثوذكس، السريان، اليعاقبة، الأرمن، الموارنة، الكلدان، الآشوريين، الملكيون، البروتستانت) بالإضافة إلى اليهود وطوائف إسلامية.[19]

لم يكن المسيحيون واليهود يتمتعون بالمساواة التامة مع الرعايا المسلمين، إلا أنهم نعموا ببعض الحريات الدينية فى ممارسة شعائرهم، وتكفلت الدولة بمسئولية حماية أرواحهم وممتلكاتهم فى ظل نظام الملل الذى كان يصنف رعايا الدولة على أساس المذهب الدينى وليس على أساس القومية أو اللغة.[20] وكان لكل ملة مسيحية رئيسها الدينى وهو البطريرك وهو ما يتعارض مع فكرة الدولة الحديثة التى تنظر إلى رعاياها على أساس المواطنة القائمة على المساواة فى الحقوق والواجبات.[21]

ومفهوم المواطنة حديث نشأ فى أواخر القرن الثامن عشر فى أوروبا ولم يكن سائداً فى بداية العهد العثماني[22].

---

[18] يركز البرت حورانى على الطابع العالمى للسلطنة العثمانية فيصفها بأنها جامعة متماسكة فى إطار موحد من النظام والإدارة لمناطق مختلفة عديدة. انظر: Albert Hourani, the Ottoman Background of the Modern Middle East, Essex, 1910, P. 9.

[19] عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984م، ص 26، وانظر: بطرس لبكى، تطور مؤسسات التعليم فى لبنان خلال القرن الأخير من الحكم العثمانى، المجلة التاريخية المغربية، عدد 57، 58، تونس 1990م، ص 463.

[20] بيار رافال، المسيحيون فى الشرق فى القرنين الثاني والثالث، المسيحية عبر تاريخها فى المشرق، مجموعة مؤلفين تحرير حبيب بدر، سعاد سليم وجوزيف أبو نهرا، ط2، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، 2002م، ص ص 66 – 67.

[21] عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1516 – 1916م، دمشق، 1974م، ص 94.

[22] جوزيف أبو نهرا، المسيحيون وهاجس الحرية فى العهد العثماني، مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات، جامعة القديس يوسف، 2013م، ص 4.

تمتعت كل ملة باستقلالية داخلية تحت سلطة رئيسها الروحي (حاخام باشى لليهود، بطريرك أو كاثوليكوس للمسيحيين، إمام للعلويين .. الـخ) وذلك فيما يعود إلى الأمور الدينية وبعض الأمور المدنية كإنشاء المدارس والمستشفيات والزواج والإرث والوصية.[23]

ونتيجة بعض التجارب المريرة نشـأت بين المسـيحيين فى الشـرق نزعة إلى الوحدة والإصـلاح شـجعتها كنيسـة روما عبر بعثات الإرسـاليات منذ أواخر القرن الخامس عشـر وبلغت ذروتها فى القرن التاسع عندما وجد المرسلون اللاتين أنفسهم فى منافسة مع المبشرين البروتسـتانت الإنجليز والأمريكيين، وكانت الإرسـاليات الكاثوليكية تضـم مرسـلين من مختلف الرهبانيات والجنسيات الأوروبية ولكن غالبيتهم من الفرنسيين الذين فتحوا المدارس، وساهموا فى تكوين نخب منفتحة على ثقافة الغرب وأكثر اهتماماً بتعليم البنات.[24]

وأعلنت فرنسا نفسها حامية للموارنة وأخذت تطالب بحماية جميع الكاثوليك الشرقيين الروم، الملكيين، السـريان الكاثوليك، والأرمن الكاثوليك، وتوطدت علاقة الروم الأرثوذكس بروسيا فى القرن التاسع عشر وفتحت لهم المدارس.[25]

وانتشـرت مدارس الإرسـاليات المسـيحية الأوربية فى المدن والقرى التى يكثر فيها المسيحيون إلى جانب المسيحية الطائفية، واعتمدت المناهج والطرق الحديثة، كما أولت اللغة العربية والأدب العربى اهتمامها.[26]

---

[23] البطريرك روفائيل بيداويد، الكنيسة الكلدانية، مجلة المنارة، عدد 27، 1986م، ص ص 177 ، 188.

[24] Archives des Affaires Etrangers Francasis (A.A.E.F) Corresp por Beyrowth Registre.

[25] كاترين مايور جاوين، نهضـة الكنائس فى نهاية العصـر العثمانى "المسـيحية عبر تاريخها فى الشـرق"، ص ص 751.

[26] إبراهيم هاشـم، المجمع اللبنانى رائد التعليم المجانى والالزامى، عدد 3، المنارة، ص 329. وانظر: ليلى الصـباغ، الجاليات الأوربية فى بلاد الشام فى القرن السادس عشر والسابع عشر، ج1، بيروت، 1989م، ص 77.

المبحث الثانى
مدارس الأقليات فى الدولة العثمانية

أنشـــأت الدولة العثمانية شـــبكة واســـعة من المدارس المدنية فى مختلف المراحل التعليمية، وأقامت دوراً لتأهيل المعلمين لجميع تلك المراحل، وفتحت باب التعليم أمام الفتيات حتى الجامعة، ونظمت وزارة المعارف ودوائرها حتى أصـــبحت قادرة على إدارة تلك الشـــبكة الواســـعة وتطويرها[27]، ومدت ذلك التعليم بكل مراحله، ولو بشـــكل مصـــغر إلى ولايات الإمبراطورية، وأنشـأت "مجالس معارف"[28] فى تلك الولايات، وتابعت الدولة إرسـال البعثات التعليمية إلى أوروبا وكانت المدرســـة العثمانية التى أســـســـت فى باريس مركزاً للطلاب العثمانيين فى العاصمة الفرنسية، كما عمدت الدولة أيضاً إلى الاستفادة من استشارات خبراء الدول الأوربية فى ميدان التربية ومناهج التعليم.[29]

وقد وضعت الدولة العثمانية حداً للازدواجية الدينية والعلمانية، وأقامت نظاماً مدرسياً علمانياً كلياً كانت فيه جميع المؤسسات التعليمية تحت إشراف "وزارة التربية" وأغلقت المدارس الدينية التى كان عددها 497 مدرسة ويدرس بها ثماني عشر ألف طالب.[30]

وكانت المدارس العثمانية تقســـم إلى مجموعتين كبيرتين، ففى المجموعة الأولى كانت تدخل "مدارس الخارج" التى كانت تدرس فيها أصـــول المعارف كاللغة العربية والعلوم العقلية، أما المجموعة الثانية فكانت ضـمن "مدارس الداخل" التى تدرس المعرفة المتقدمة أى العلوم الدينية، إلا أن كل مجموعة من هذه المدارس كانت تقسم بدورها إلى درجات.[31]

وكانت هذه المدارس تتركز فى بعض المدن الكبرى ففى سنة 1529م كان يوجد فى أدرنة 14 مدرسـة وفى اسـتانبول فى القرن السـابع عشـر يوجد 25 مدرسـة، وقد وصـل عدد المدارس فى القرن التاسـع عشـر إلى 170 مدرسـة، ومن هذه المدارس أسـس البشـاوات 49 مدرسة وبقية أفراد الطبقة الحاكمة 35 مدرسة وأسس العلماء 35 مدرسة والسلاطين 26.[32]

---

[27] أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص ص 218 – 219.
[28] تماثل الإدارات التعليمية التابعة للمديريات التعليمية فى وقتنا الحالى.
[29] أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوى، ج2، منظمة المؤتمر الإسلامى، استانبول، 1999م، ص 410.
[30] ساطع الحصرى، البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة، 1957م، ص 24.
[31] خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشـوء إلى الانحدار، ترجمة د. محمد الأرناؤوطى، ج1، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت ، لينان، 2002م، ص ص 257 – 258.
[32] خليل إينالجيك، مرجع سابق، ص 259.

واقع مدارس الأقليات غير المسلمة:

لم تكن غالبية المدارس التى أقامتها الدولة العثمانية مخصصة لطائفة دينية دون أخرى، بل كانت متاحة لكل رعايا الدولة من مسلمين وغير مسلمين، إلا أن السلطات لم تتيح فى البداية دخول الطلبة المسلمين فى مدارس الصبيان (الابتدائية) والرشدية (المتوسطة) المخصصة لغير المسلمين أو بالعكس، بل قررت إقامة مدارس خاصة بالمسلمين فقط أو بغيرهم[33]، وقد قضت المادة السادسة فى نظام المعارف العام أن يتم تدريس المواد الدينية فى مدارس الصبيان بتوجيه من قبل الرؤساء الروحانيين وأن يتم تدريس المواد الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والحساب والعلوم باللغات المحلية، واتبع هذا النظام أيضاً بالمدارس الرشدية، أما المدارس الإعدادية فقد سمح بالدراسة فيها للمسلمين وغيرهم.[34]

وغالباً ما أقام مدارس الأقليات غير المسلمة أرباب الخير والأغنياء من غير المسلمين، وكانوا يديرونها بمعرفتهم، كما كانت تتخذ احدى الغرف الملحقة بالكنائس أو الأديرة كمدرسة يقوم الرهبان بالتدريس فيها.[35]

وكانت تنقسم هذه المدارس إلى قسمين:

1- **المدارس الملية:** التى تعود ملكيتها إلى الطوائف الدينية (المسيحية بالدرجة الأولى) وتغطى نفقاتها من الأوقاف المخصصة لها ويتم إدارتها عن طريق الطوائف والبطريركيات التى تتبعها.

2- **المدارس الخاصة:** والتى تقوم من قبل الأشخاص.[36]

وانتشرت المدارس الخاصة غير الإسلامية فى غالبية أنحاء الدولة العثمانية، ولم تتدخل الدولة العثمانية فى شئونها أو مناهجها وترك محمد الفاتح بعد فتح استانبول سنة 1453م المدارس الموجودة بيد الرؤساء الروحانيين ومنحهم الحرية المطلقة فى إدارتها.[37]

---

(33) فاضل مهدى بيات، دراسات فى تاريخ العرب فى العهد العثمانى، رؤية جديدة فى ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامى، مجلد 1، ط1، بيروت، لبنان، 2003م، ص 413.

(34) عبد العزيز محمد الشناوى، مرجع سابق، ص 117.

(35) مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثمانى، ترجمة كمال خوجه، دار السلام، بيروت، 1980م، ص 54.

(36) عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون فى أفريقيا الشمالية، القسم الأول، تعريب محمود على عامر، بيروت، 1989م، ص 54.

(37) يعقوب لانداو، تاريخ اليهود فى مصر فى الفترة العثمانية 1517 – 1914م، ترجمة جمال أحمد الرفاعى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000م، ص ص 294. وانظر أيضاً: أحمد سوسة، العرب واليهود فى التاريخ، ط2، دمشق، د.ت، ص ص 374، 379.

ولم تضـــع الدولة العثمانية قانوناً لتقييد التعليم فى المدارس غير الإســـلامية فى البداية، ولكن بعد ازدياد تدخل الغرب فى شـــئون الدولة العثمانية، وظهور مســـألة الأقليات غير المسلمة وخاصـة المسيحية، قامت الدولة بوضـع تشـريعات لمنع قيام هذه المدارس بما يتعارض مع ســـياســـة الدولة، ويرى الكاتب العثمانى اليهودي أورام غالانتى أن من أهم المميزات التى منحها فرمان التنظيمات العثمانية للعناصـر غير المسـلمة هى حرية التدريس وحرية اللغة.[38]

وبعد إعلان التنظيمات قامت الأقليات غير الإسـلامية بإحياء مدارسـها وإصـلاحها فى داخل الدولة، كما قام أفرادها بإرســال أبنائها إلى الخارج لأجل الدراســة، أو إدخالهم فى المدارس الأجنبية التبشيرية التى كانت تنتشر وتتوسع يوماً بعد آخر. [39]

أما القرارات والأنظمة التى أصـدرتها الدولة فكانت محاولة منها لتنظيم هذه المدارس بالشـــكل الذى تتمكن هى من الإشـــراف عليها أو مراقبتها، وخصـــصـــت بعض مواد نظام المعارف الصادر فى 1869م المادة 129 لتعريف المدارس الخاصة (الأهلية) بأنها المدارس التى تقام من قبل الطوائف الدينية أو من قبل أفراد فى الدولة أو أجانب ولم تنص على الطوائف غير الإسلامية.[40]

ولأن الدولة كانت تخاف من هذه المدارس أصـدرت بعض الأوامر للحد من النشـاط المعادى لهذه المدارس اتجاه الدولة منها حظر تدريس المواد المخالفة للآداب وسياسة الدولة، وألزمت هذه المدارس بتصـــديق مناهجها الدراســـية وكتبها المقررة فى وزارة المعارف أو فى الولايات.[41]

كما حددت الدولة نشاطات مدارس الأقليات غير المسلمة بالتعليمات التى أصدرتها سـنة 1896م فألزمت أصـحابها الحصـول على موافقة الدولة عند تأسـيسـها، وعدم اسـتخدام المعلمين والموظفين والمديرين الذين لم تعتمد شـــهاداتهم الدراســـية، وعدم تبادل المطبوعات الممنوعة بها، وألزمت مديرى المعارف فى الولايات بالقيام بالتفتيش على هذه المدارس فى الشـــهور المختلفة فى الســـنة للتعرف على أوضـــاعها العامة ومدى ملائمة نظامها الداخلى والتدريس والكتب أو الطلبة وما يلقن للطلاب، وحددت المادة 52 المخالفات وهى:

---

(38) محمد فريد بك المحامى، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، 1977م، ص 88.
(39) أحمد إبراهيم خليل، تاريخ الوطن العربى فى العهد العثمانى، 1516 – 1918م، الموصل، 1983م، ص 210.
(40) محمد جميل بيهم، العرب والترك فى الصراع بين الشرق والغرب، بيروت، 1957م، ص 87.
(41) ساطع الحصرى، البلاد والدولة العثمانية، القاهرة، 1957م، ص ص 65، 84.

-الإساءة للدين الإسلامى والسلطان العثمانى ومصالح الدولة، ومخالفة الأصول والأنظمة، وإدخال الكتب والمطبوعات الممنوعة أو تلقين أفكار فاسدة.[42]

كما منعت الحكومة إقامة مدارس الأقليات غير المسلمة فى الأماكن التى لا يقيم بها أتباعها، وألزمت جميع المدارس غير الإسلامية وضع لوحة على باب المدرسة يذكر فيها وباللغة التركية وبلغة الطائفة التى تعود إليها المدرسة بالحروف المتبعة عندها: اسم تلك المدرسة ونوعها – قومية أم خاصة، داخلية أم نهارية للذكور أم للإناث أم مختلطة.[43]

وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب العظمى أخذت تنظر إلى مدارس الأقليات غير المسلمة بنظرة أكثر أهمية فأصدرت فى عام 1915م التعليمات الخاصة بهذه المدارس وألزمتها بتدريس اللغة التركية والتاريخ والجغرافيا باللغة التركية ومن قبل معلمين أتراك لتأمين تفتيشها ومراقبة هذه المدارس.[44]

ورغم هذا التعليمات الخاصة بالمدارس غير المسلمة لم تكن تلتزم بها تماماً بل كان مؤسسوها يعارضون تدخل الدولة فى شئونها، وكان لبطارقة الروم والسفارات الأجنبية دور كبير فى إبقاء الكثير من الأوامر والتعليمات المتعلقة بهذه المدارس معلقة، وكان لهذه الجهات أبلغ الأثر فى إيقاف مشروع قانون المعارف العام الذى خصصت المادة 215 منه لمدارس الأقليات غير المسلمة، واستطاعت فرنسا الحصول على حق امتياز تأسيس المدارس وخرق المواد المتعلقة بإقامة المدارس من الأجانب واستغلالها لصالحها.[45]

تاريخ إنشاء أول مدرسة:

أنشأت أول مدرسة عثمانية فى أزنيق عام 1331م وأعطيت حينئذ للعالم المشهور داود القيصرى، وفيما بعد حين كان أى سلطان يرغب فى تأسيس مدرسة جديدة كان يدعو العلماء من المراكز الثقافية القديمة فى الأناضول كقونية وقيصرية وآق سارای، وحتى فى بلاد العالم الإسلامى كفارس وتركستان ومصر والشام، وأخذت المدارس العثمانية تتطور بسرعة فى ذلك الوقت.[46]

---

(42) فاضل مهدى بيات، مرجع سابق، ص 418.

(43) جمال زكريا قاسم، الخروج العربى عن الدولة العثمانية فى كتاب "العلاقات العربية التركية من المنظور العربى والتركى، معهد البحوث والدراسات العربية، 1991م، ص 65.

(44) أحمد سامح الخالدى، أنظمة التعليم، ج1، بيت المقدس، 1933م، ص 54.

(45) عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 174.

(46) خليل إينالجيك، مرجع سابق، ص 255.

أشهر المدارس:

ومن أشهر مدارس الدولة العثمانية مدرسة على باشا فى أدرنة ومدرسة شهاب الدين باشا فى بلوفديق، ومدرسة محمد باشا فى استانبول، ومدرسة محمد على باشا فى بورصة ومدرسة أسكي علي باشا في بورصة ومدرسة اسحق بك فى اسكوب/ سكوبيه وضمن هذه المجموعة أيضاً كانت تأتى المدارس القديمة فى الأناضول التى أسست قبل العثمانيين.[47]

مكانة ووضع المعلم:

يحظى المدرسون فى المجتمع العثمانى بمكانة رفيعة حافظوا عليها، ومن ثم كانوا يتمتعون بصلاحيات غير عادية، ولاسيما فى المدارس الكبرى، مثل مدارس الفاتح والسليمانية، فكان يتم بين الحين والآخر إسناد بعض المهام المؤقتة إليهم لكنها جد مهمة، مثل تسجيل الأوقاف فى إستانبول وخارجها، والتفتيش عليها، والتحقيق فى المخالفات المالية فى شتى الأنواع، وعمل التحقيقات حول الوظائف العرفية والشرعية وغيرها.[48]، ونرى العديد فى الأحكام (الأوامر السلطانية) فى "دفاتر المهمة" حول هذا النوع من الوظائف المؤقتة وطبيعتها التى تقرر بفرمان يصدر موجهاً لشخص المدرس، كما كان يطلب عند التحقيق فى بعض الموضوعات أن تشكل لجنة تضم معهم أمر السنجق والقاضى.[49]

وفى المراسم والاحتفالات المهمة كان مدرسوا المدارس ذات المستوى الرفيع يشاركون فيها بالأزياء الخاصة بهيئة رجال العلم، ولهم عند الخطاب ألقاب يخاطبون بها مثل: "أعلم العلماء المتبحرين ... الخ".[50]

والمعروف أن لمدرس المدرسة مساعد يعاونه فى تكرار القاء الدروس على الطلاب يطلقون عليهم اسم "معيد" ويتقاضى أجراً يومياً قدره فى الغالب خمس أقجات.[51]

نقص العلماء المتميزين وأثره على إنشاء مدارس جديدة:

(47) محمد أحمد أنيس، مدرسة التاريخ المصرى فى العهد العثمانى، نشر معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1962م، ص 34.

(48) أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوى، ج1، إستانبول، 1999م، منظمة المؤتمر الإسلامى، مركز الأبحاث للتاريخ والفتوى والثقافة الإسلامية، إستانبول، ص 293.

(49) عبد القادر النعيمى، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، ج2، دمشق، 1987م، ص 64.

(50) ساطع الحصرى، مرجع سابق، ص 35.

(51) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ص 294. وانظر: السلطان عبد العزيز فهمى، السلطان محمد الفاتح، بيروت، 1975م، ص 64.

مع أن محمد الفاتح أوجد إمبراطورية كبيرة إلا أنه كان يشـــكوا من أن الدولة تخلو من علماء يمكن مقارنتهم بعلماء الدول الإســـلامية الأخرى، فبادر بعد فتح اســـتانبول إلى تأسـيس ثمانى مدارس وضـعها تحت تصـرف أشـهر العلماء، وفيما بعد عندما بنى جامعه خلال الفترة من 1463م إلى 1470م وأنشأ حوله ثماني مدارس أخرى عرفت باسم "الصـحن الثمانى" التى سـلمها إلى ثماني من العلماء المشـهورين، وبالإضـافة إلى هذه المدارس كانت هناك ثماني مدارس عالية للتخصصات المختلفة، وثماني مدارس إعدادية[52]

مدارس الأقليات فى ولايات الدولة العثمانية:

أولاً: مدارس الأقليات الغير إسلامية فى البلاد العربية:

وهى المدارس التى أقامتها الطوائف الغير إسـلامية وبخاصـة المسـيحية واليهودية، ولا تدخل المدارس الأجنبية ضمن هذا الحقل، وأتبع فى عرض هذه المدارس منهج محدد فى الجداول الإحصائية فى جميع الولايات كالآتى[53]:

اللواء	القضاء	اسم المدرسة	الطائفة التى تنتسب إليها المدرسة	المدير المسئول الذى فتح الترخيص باسمه	درجة المدرسة	عدد الطلبة الذكور/الإناث	تاريخ تأسيس المدرسة	تاريخ الترخيص

ومما يلاحظ على الجدول السابق ما يلى[54]:

1) إنها أعدت إحصـائيات دقيقة عن مدارس كل مذهب ولاسـيما المسـيحية، ففى مدينة حلب مثلاً كان هناك 25 مدرسة موزعة كالآتى:

- 10 لليهود، 5 للأرمن، 6 للروم، 2 للروم الأرثوذكس، وواحدة لكل من البروتستانت والموارنة.

2) أن معظم المدارس الغير إسلامية كانت مختلطة للذكور والإناث.

---

[52] خليل إينالجيك، مرجع سابق، ص 256.

[53] فاضل مهدى بيات، مرجع سابق، ص 289.

[54] فاضل مهدى بيات، مرجع سابق، ص 290

3) أن المدارس التى أنشـأتها جمعية الأليانس الإسـرائيلية كانت يهودية عالمية وردت أسـمائها ضـمن المدارس الغير إسـلامية المقامة فى الولايات العربية كما فى بغداد والشام ما عدا القدس وردت ضمن المدارس الأجنبية[55].

4) يشـكل سـنجق (ولاية) القدس حالة فريدة من نوعها بين الولايات العربية حيث تضمنت أعداد هائلة من المدارس غير الإسلامية تماثل ما كان موجود فى أى ولاية من الولايات العثمانية العربية ويضـم نواحى بيت لحم ويافا والرملة واللد وغزة وتمثل أعداد المدارس غير الإسلامية فى القدس كالتالى[56]:

- 20 مدرسـة للروم وأكبرها فى بيت لحم، 13 مدرسـة للأتين، 5 للأرمن، وواحدة للقبط و39 مدرسة لليهود وأكبرها مدرسة تلمود توراة وتحتوى 365 تلميذاً.

1- المدارس اليهودية فى مصر:

يخرج من يطالع المصـادر اليهودية بانطباع مفاده أن مسـتوى التعليم اليهودى فى إطار مؤسسات الطائفة كان متدنياً[57]، وقد أسهم أثرياء التجار اليهود خلال القرن السادس عشـر فى تأسـيس المدارس اليهودية المتخصـصـة فى الشـريعة[58]، وكان من بين هؤلاء الحاخام "ديفيد بن زمارة" الذى اشـتغل بالتجارة وأولئك الذين أوصـوا بوقف ممتلكاتهم بعد وفاتهم إلى بعض المدارس الدينية وتحتوى مصـادر القرنين السـادس عشـر والسـابع عشـر معلومات مفادها أنه كانت توجد مدارس متخصصة فى التلمود بالقاهرة والإسكندرية فقط[59]، وتحتوى بعض الشـهادات على معلومات أن الطائفة اليهودية فى كل من الإسكندرية والقاهرة تحملت النفقات الخاصة لإعانة دارسى الشريعة.[60]

وقد شـهدت مدينة الإسـكندرية خلال نهايات القرن التاسـع عشـر وبدايات القرن العشـرين زيادة ملحوظة فى عدد التلاميذ الملتحقين بمدرسـة "أجيون" التى كان التلاميذ

---

(55) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص ص 218 – 222.

(56) يعقوب لانداو، مرجع سابق، ص ص 298 – 299. وانظر: محمد عيسى صالحية، الحركة الفكرية فى فلسطين فى العهد العثمانى، المجلة التاريخية المغربية، عدد 59، 60، اكتوبر 1990م، ص ص 694 – 695.

(57) سميري، أحاديث يوسف، ص 264.

(58) فتاوى الحاخام ديفيد بن زماره، ج1، الفتوى 100، فتاوى الحاخام يوم طوف، ج2، فتوى 33، ليتمان المجتمع اليهودي فى مصر، ص ص 258 – 259.

(59) فتاوى الحاخام كيوسى، فتوى رقم 1، فتاوى الحاخام شلومو هومين، ج1، فتوى 27.

(60) يعقوب لانداو، مرجع سابق، ص ص 294 – 295.

يدرسون فيها بالمجان أو بمقابل رسوم ضئيلة للغاية وقدر عدد تلاميذ هذه المدرسة عام 1884م بـ 86 تلميذاً وأرتفع عام 1901م إلى 140 تلميذاً.[61]

ومع تزايد حركة الهجرة اليهودية من شرق أوروبا إلى مصر تأسست فى الإسكندرية المزيد من المدارس اليهودية منها مدرسة "عيتس حاييم" فى عام 1911م، وتلقى الفتيات تعليمهم فى مؤسسة "شداى يعزور" وقدر عدد فتيات هذه المدرسة عام 1916م بـ 365 تلميذاً وقد تطورت فى القاهرة فى القرن التاسع عشر المدارس اليهودية المعروفة باسم "تلمود التوراة" لتبرعات العائلات اليهودية وبلغ عدد يهود التلاميذ فيها خلال عام 1884م بـ 175 تلميذاً وعدد التلميذات 175 تلميذة.[62]

2- المدارس اليهودية فى العراق:

سكن اليهود العراق منذ عصور قديمة فى حى سكنى خاص عرف باسم (محلة اليهود) الذى يقع شمال غرب مدينة الموصل، كما توزعوا فى الأقضية التابعة كالموصل، وقد اختلفت المصادر فى تحديد أعداد يهود العراق فى العهد العثمانى، ولا توجد لدينا إحصاءات دقيقة وكانت الأعداد تخمينية ومبالغ فيها.[63]

ومن أهم المناطق التى توزعوا فيها: العمارية وزاخو وعقرة وزيبار ودهوك وسنجار وقد قدر عددهم دومينكو بـ 400 شخص سنة 1760م، أما الرحالة أوليفية فقد حدد أعدادهم سنة 1796م بألف يهودى فى عموم الولايات العراقية.[64]

وكان لليهود مؤسساتهم التعليمية الخاصة بهم فى العراق، ويعود تاريخ افتتاحها إلى بداية القرن التاسع عشر، فمدرسة كركوك التى تأسست سنة 1230هـ، 1814م، والتى تدعى مدرسة الموارش.[65] من أقدم المدارس اليهودية فى ولاية الموصل، ثم مدرسة أخرى فى السليمانية أسست سنة 1235هـ - 1819م، وأخرى فى أربيل تأسست عام 1240هـ -

---

(61) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون (1516 – 1916م)، دمشق، 1974م، ص 74.

(62) عزت أحمد عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصر فى عصر محمد على، القاهرة، 1983م، ص 223

(63) على شيت محمود الحيانى، اليهود فى الموصل 1921 – 1952، دراسة عامة أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2012م، ص ص 10 ، 22.

(64) دومونيكولانزا، الموصل فى القرن الثامن عشر، مطبعة الشرقية الحديثة، الموصل، العراق، 1953م، ص 11.

(65) الموارش: هى المدارس اليهودية التقليدية التى كانت موجودة فى العراق وتركز اهتماماها على تعليم الطلاب العلوم الدينية (التوراة والتلمود) واللغات العربية والتركية والعبرية بالإضافة إلى دراسة بعض المعلومات العامة مثل الرياضة والنشيد واللغة الإنجليزية وهذه المدارس أقرب إلى المدارس الدينية. انظر: لمي عبد العزيز مصطفى، نسيبة عبد العزيزالحاج علاوي ؛ موقف الدولة العثمانية فى الأقليات غير المسلمة، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية – مجلد 4 – عدد 10 – سنة 4 تشرين الثاني 2017م.

1842م، وهذا يعنى أن هذه المدارس فتحت قبل أن تصدر المراسيم الإصلاحية (كولخانة وهمايونى).

أما بعد سنة 1839م فقد تأسست عدد من المدارس فى الموصل منها مدرستان مدرسة الموصل الأولى ومدرسة الموصل الثانية، بلغ عدد الطلاب فى الأولى سنة 1310هـ – 1892م 40 طالباً أما المدرسة الثانية فتبلغ عدد طلابها سنة 1903م 95 طالباً.[66]، أما فى دهوك فقد أشارت سالنامات الموصل إلى وجود مدرستين لليهود بلغ عدد طلابها 43 طالباً[67]، فضلاً عن مدرسة أخرى فى قضاء زاخو وكان عدد طلابها سنة 1903م هو 30 طالباً.[68]

3- المدارس المسيحية فى العراق:

أعطى خط شريف همايون الصادر فى عام 1856م كل طائفة دينية الحق فى افتتاح مدارس أهلية لأبنائها ومنحهم حق اختيار المناهج واختيار المعلمين بشرط أن تكون هذه المدارس تحت ملاحظة مجالس المعارف الخاصة بكل منطقة جغرافية.[69]

ولذلك كانت هناك مدارس خاصة بالأقليات غير المسلمة تولت الطوائف الدينية مسئولية إدارتها والإنفاق عليها بشرط حصولها على رخصة بذلك[70]، وتلقت هذه المدارس الدعم من أبناء الطوائف الأغنياء والقادرين ومن القناصل الأجانب وبعضها كانت تتقاضى من طلابها أجوراً دراسية لتسديد مصاريف هذه المدارس[71]، وقام بعض الأغنياء بتخصيص مبلغ مالى لشراء عقار يخصص ريعه للإنفاق على تلك المدارس وكذلك المساعدات التى تقدمها الإرساليات القنصلية.[72]

---

(66) سعيد الديوجي، مدارس الموصل فى العهد العثمانى، مجلة سومر، ج2، مجلد 18، بغداد، 1962م، ص 94.

(67) فاضل مهدى بيات، مرجع سابق، ص 143.

(68) إبراهيم خليل أحمد، تطور التعليم الوطنى فى العراق (1863 – 1932)، مركز دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة، 1982م، ص 62.

(69) أخذت تلك المدارس مناهجها الدراسية فى المدارس الأجنبية داخل البلاد العثمانية أو من البلاد الأجنبية وحسب العلاقات الدينية كانت تربط تلك الجماعات بالبلاد. انظر: جمال أسد مزعل، نظام التعليم فى العراق، الموصل، 1989م، ص 26.

(70) غانم سعيد البعيدى، التعليم الأهلى فى العراق فى مرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، بغداد، 1970م، ص 43.

(71) ياسين شهاب شكرى، ولاية بغداد (1872 – 1909م) دراسة فى أوضاعها الاقتصادية والإدارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1994م، ص 72.

(72) جميل موسى النجار، التعليم فى العراق فى العهد العثمانى الأخير 1869 – 1918م، بغداد، 2002م، ص 231.

وكانت هذه المدارس تقوم بتدريس لغة الطائفة التى تتبعها فيما كانت الدولة العثمانية تعطى لهذه المدارس مدرسين لتدريس اللغة التركية، باعتبارها اللغة الرسمية للدولة، وقام الضباط بهذه المهمة بهدف إشراف الدولة العثمانية على هذه المدارس.[73]

وفتحت الطوائف النصرانية الثلاث فى الموصل (الكلدان – السريان – الأرمن) مدارس خاصة يتلقى فيها التلاميذ دروساً فى تعلم بعض المهن التى تفيدهم فى حياتهم بالإضافة لدروس فى المراسلة وغيرها من العلوم وتعلم لغات أوروبية وكان الكلدان واليعاقبة يتلقون فى مدارسهم الرتب الكنسية وسفر المزامير.[74]

وتعد أقدم مدرسة مسيحية فى الموصل هى مدارس السريان التى يعود تاريخها لعام 1215هـ / 1800م واستمرت عملية تأسيس هذه المدارس طوال القرن التاسع عشر حتى بلغ عددها عشرة مدارس.[75]

وحدثت تغيرات كثيرة على هذه المدارس وقسمت إلى مدارس ابتدائية رشدية (متوسطة) ومنها مدرسة الطاهرة المختلطة للسريان الكاثوليك ومدرسة مارتوما (رشدية) للسريان الكاثوليك، ومدرسة مارتوما الابتدائية المختلطة للسريان الأرثوذكس ومدرسة الشاطية المختلطة للسريان الكاثوليك.[76]

وارتفع عدد المدارس فى ولاية الموصل إلى 15 مدرسة عام 1905م بواقع 12 مدرسة للذكور وواحدة للإناث واثنين مختلطين.[77]

4- مدارس الأقليات الدينية فى الشام:

كانت مدارس الأقليات الدينية تنتشر فى بلاد الشام كحلب وبيروت وفلسطين والأردن ودمشق وكانت تمارس التعليم الدينى وأقامها الرعايا العثمانيون فى ظل الامتيازات الممنوحة لهم، ولكنها لم تكن ذات إسهام كبير فى الحياة العلمية والتعليمية لدى العثمانيين، بقدر ما لعبت دوراً فعالاً فى ظهور حركات سياسية مناهضة للدولة العثمانية بين الأقليات غير المسلمة، وساعدت على تمزيقها، وكانت حركة العلمنة التى ظهرت فى القرن التاسع

(73) على شيت محمود الحيانى، مرجع سابق، ص 148.
(74) لويس ساكو، الموصل حسب رحلة بادجر، مجلة بين النهرين، العدد 9، 10، السنة الثالثة، الموصل، 1975م، ص 68.
(75) لويس ساكو، مرجع سابق، ص 74.
(76) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ص 510.
(77) سعيد الديوجى، مرجع سابق، ص 45.

عشـــر داخل مدارس الأقليات تمارس التعليم القائم على التعليم الدينى قد بدأت مع حركة التحديث التى ظهرت فى النظام التعليمى العثمانى فى نفس الفترة.[78]

وكانت المدارس التبشـيرية فى بلاد الشـام قد أخذت أعدادها فى الزيارة تسـير على برامج تشـــبه برامج المدارس العثمانية[79] ولعبت المدارس التى كانت تمارس ذلك النوع فى الدعايات المغرضـــة فى ولاية الشـــام وخاصـــة فى بيروت دوراً مؤثراً فى مقاومة مفهوم "العثمانية" و "اتحاد العناصـر" الذى تبنته الدولة، وظهور تيار "القومية العربية" مما أدى إلى خروج العرب من الدولة العثمانية، وانتشرت فى الكليات التى فتحها الأمريكيون فى القرن 19 فهناك مدارس "طب عنتاب" وجامعة بيروت الأمريكية عام 1867م ومدرســـة طب ســـان جوزيف الكاثولوكية التى أقامها الفرنسيون فى بيروت عام 1988م.[80]

ثانياً: المدارس الأجنبية فى البلاد العربية:

وهى المدارس التى أقامتها الدول المختلفة فى البلاد الخاضـــعة للإمبراطورية العثمانية وتشمل: (بغداد، بيروت، حلب، سوريا، والموصل، والقدس). وأما الدول التى أقامت هذه المدارس فهى أمريكا، فرنسـا، وإنجلترا، وروسـيا، وألمانيا، وإيطاليا. ويتضـح لنا ان أعداد المدارس الأجنبية الخاصة بالأقليات الدينية ملفت للنظر ويمكن عرضه كما يلى:

1- 24 مدرسة لليهود في عام 1317 و21 في عام 1318م.

2- 4 مدارس للنصارى وواحدة للأتين.

3- 46 مدرســة وردت فى حقل اســم الطائفة التى أســســت المدرســة عبارة (أطفال غير مسلمة).[81]

ويتضح من الجداول الإحصائية أن مدارس اليهود واللاتين كانت مميزة، وأن مدارس النصارى تتدخل ضمن المدارس المخصصة للأطفال الغير مسلمين، إلا أن هذا لا يؤكد أن هذه المدارس كلها مخصـصـة للنصـارى، إذ أن قسـماً من مدارس اليهود وردت ضـمن هذا الحقل، ففى ســالنامة 1900م ذكر فى الجدول للبروتســتانت 13 مدرســة و14 للأتين، كما يتضــح أن المدرســتين الأجنبيتان فى بغداد كانتا تحملان أســم البروتســتانت واللاتين وهما

(78) محمد فؤاد كوبريللى، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، 1967م، ص 34.

(79) محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، حيفا، 1909م، ص 67.

(80) أحمد طربين، لبنان فى عهد المتصـرفية إلى بداية الانتداب (1861 – 1920م)، معهد البحوث والدراسـات العربية، القاهرة، 1968م، ص 17.

(81) فاضل مهدى بيات، مرجع سابق، ص 292.

رشـــديتان وعدد طلاب مدرســـة اللاتين 416 طالب و671 طالبة وعدد طلاب مدرســـة البروتستانت 17 طالب و19 طالبة.[82]

القوانين المنظمة لمدارس الأقليات:

ســـعت الإمبراطورية ا لعثمانية إلى تنظيم علاقاتها مع الأقليات الغير مســـلمة فى نطاق الدولة فى إطار "نظام الملة" النابع من أحكام الشـــريعة الإســـلامية، أما علاقاتها مع الأجانب المقيمين بها فقد منحتهما امتيازات كفرنســا فى ا لنصــف الأول من القرن الســادس عشر، واستمر ذلك الوضع حتى أوائل القرن التاسع عشر.[83]

وفى ســنة 1867م أصــدرت الدولة العثمانية لائحة تنظيمية (نظامنامة) نصــت فيها على عملية تملك الأجانب المقيمين بها للأراضـــى والعقارات، فقد نصـــت اللائحة على: أن الأجانب يتمتعون بحق التصرف فى العقارات والأراضـى فى كافة أنحاء البلاد ما عدا منطقة الحجاز، وكان من أهم نتائج تلك اللائحة عدم اعترافهم للدولة بحقها فى الرقابة على النظم المتبعة فى مدارســهم الأجنبية، غير أن اللائحة التنظيمية للمعارف الصــادرة ســنة 1879م أوجبت على غير المســلمين والأجانب المقيمين داخل الدولة بإتباع شــروط تم تحديدها عند إقامتهم للمدارس، وأهمها مســألة "الحاجة" إذ لا تفتح مدرســة إلا عند الضــرورة[84]، كما يتم بالإضــافة إلى ذلك تحديد الأمور الخاصــة بأرض المدرســة وبنائها، والهيئة التأسـيسـية لها والكادر التعليمى، كما يجب التأكد من عدد السكان غير المسلمين فى الحى أو المنطقة التى ستقام بها المدارس، وبعد ذلك يجرى تقديم طلب إلى "نظارة المعارف لفتح المدرسة والحصول على الرخصـــة، كما كان ترميم مدارس الأقليات وتوســـعتها أمور مرتبطة بالحصـــول على ترخيص.[85]

وعند إعلان دســـتور ســـنة 1876م اتجه إلى جميع أهالى الأقليات غير المســـلمة والواقعة تحت سـيطرة الدولة العثمانية في مادته الخامســة عشـر ، وتشـكلت لجنة (التفتيش على مدارس غير المسـلمين والأجانب) لأول مرة عام 1886م وكانت تابعة لنظارة المعارف ؛ وذكر زهدي باشــا عام 1893م في تقريره الذي رفعه للســلطان: أن القوانين التي صــدرت حول مدارس الأقليات غير المســلمة ومدارس الأجانب لم يتم تطبيق أي منها, وذلك بســبب

(82) أكمل الدين إحسان أوغلى، ج2، مرجع سابق، ص 430.
(83) أكمل الدين إحسان أوغلى، ج2، مرجع سابق، ص 596.
(84) عبد الكريم رأفت، العرب والعثمانيون 1516 – 1916م، دمشق، 1974م، ص 74.
(85) نور ا لدين حاطوم، نشـاط البعثات الأجنبية الدينية فى العالم العربى، معهد الدراسـات التاريخية والجغرافيا، القاهرة، 1960م، ص 64.

الحكومات العثمانية التي لم تهتم بالأمر وكشـــف زهدي في ذات التقرير عن وجود 4547 مدرسة داخل الدولة العثمانية منها 413مدرسة للأجانب , وبلغ عدد المدارس غير المرخصة 4049 مدرسة.[86]

كما صـــدر فرمان ســـنة 1895م نص على تعيين معلمين للغة التركية فى مدارس الأقليات غير المسلمة الرشدية أو ما فى مستواها فى كل من الأناضـول والروميلى على أن تتكفل الدولة بنفقاتها، غير أن هذا الفرمان لم يطبق بشـكل جدى لإتفاق رؤسـاء الرعايا غير المسـلمين الروحانيون والدول الأوربية والجامعات التبشـيرية على موقف مشـترك يقاوم الدولة العثمانية فى ما يخص مدارس الأقليات غير المســلمة والمدارس الأجنبية، ولذلك قام الروس بحماية الأرثوذكس، فقام الفرنســـيون والألمان بحماية الأرمن الكاثوليك، بينما قام كل من الأمريكيون والإنجليز بحماية الأرمن البروتســتانت، ونتيجة لذلك فشــلت محاولات الدولة فى جعل اللغة التركية لغة التدريس فى مدارس الأقليات غير المسلمة.[87]

وأخيراً قامت نظارة المعارف وألزمت مدارس الأقليات وغير المســـلمين فى الدولة العثمانية بالتصـديق فى شـهاداتها من "النظارة" حتى تصـبح هذه الشـهادة "سـارية المفعول" وقامت بوضــع نوع من الرقابة على تلك المدارس، لكن هذه المحاولة قوبلت بمعارضــة قوية من الدول الأوربية والأقليات، وكان عدد مدارس الأجانب فى عام 1911م 10 مدارس عالية و 46 مدرســـة إعدادية و 1450 مدرســـة إبتدائية وكان عدد تلاميذ المدارس يبلغ 61675 تلميذاً وكان عدد مدارس الروم اليونانيين 3500 مدرسـة وللأرمن 2500 مدرسـة بمسـتويات مختلفة ولا توجد عليها رقابة.[88]

وقد شـــكلت الدولة لجنة لحل مشـــكلة الأقليات غير المســـلمة عندما اتحدت عام 1911م وطالبت من الدولة وضـــع نظام جديد للمدارس وقبلت بذلك الحكومة، وكان أهم قرارات اللجنة أن تبقى مدارس الأقليات والأجانب مســـتقلة فى ما عدا تعليم اللغة التركية، ولكن حروب البلقان أوقفت تنفيذ هذه القرارات، وفى عام 1913م تم الســـماح للمدارس بممارســة التعليم بلغاتها المحلية بشــرط تعليم اللغة التركية، ونصــل مما ســبق أن الدولة لم تتمكن من وضــع رقابة حقيقية على تلك المدارس حتى قيام الحرب العالمية الأولى واســتمر التعليم على الطرق القديمة.[89]

---

(86) جمع عبد الجليل التميمى، الحياة الاجتماعية فى الولايات العربية فى العهد العثمانى، ، 1988م، ص 83.

(87) توفيق على برو، العرب والترك فى العهد الدستورى (1892 – 1914م) القاهرة، 1960م، ص 34.

(88) توماس أرتولد، الخلافة، ترجمة جميل معلى، دمشق، 1946م، ص 84.

(89) حسن عثمان، مصر العثمانية فى كتاب المحمل فى تاريخ مصر العام، حسن إبراهيم حسن للنشر والتوزيع، القاهرة، 1942م، ص 17.

وفى عام 1914م تم ربط كافة مدارس الأقليات والأجانب بنظارة المعارف ولم يعترض على ذلك أحد بسبب استمرار الحرب، ثم صدرت لائحة تعليمات المدارس الخصوصية عام 1915م وتنص فى الفقرة 20 على أن السماح بفتح مدارس فى الدولة العثمانية أمر متروك لنظارة المعارف، ونصت الفقرة 6 على شروط معينة تلتزم بها الأقليات الدينية عند فتح وتدريس اللغة التركية وتاريخ وجغرافية الدولة العثمانية على يد معلمين أتراك.[90]

ولم تتحقق رقابة مدارس الأقليات والمدارس الأجنبية إلا بعد حرب الاستقلال التركية بعد الحرب العالمية الأولى وصدور قانون "توحيد التدريسات" فى 31 مارس 1924م.[91]

التسامح الدينى للمسلمين فى الدولة العثمانية والاضطهاد الدينى لأوروبا.

يقول شكيب أرسلان فى كتابه حاضر العالم الإسلامى (إن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة فى أحد المجالس فى جدال مع بعض رجال الدولة فى أوروبا فيما يتعلق بموضوع التعصب، فقال لهم الوزير العثماني، إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهم مهما بلغ بنا التعصب فى الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا، ولو كنا قدرين على استئصالهم ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نبقى بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام، فما هجس فى ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا، كما وقع للسلطان سليم الأول العثماني تقوم فى وجهة الملة، ويحاجه مثل زنبيلى على أفندى شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم، فيرجع السلطان عن عزمه إمتثالاً للشرع الحنيف، فبقى فى أظهرنا حتى أبعد الفرق وأصغرها نصارى ويهود وصائبة وسامرة ومجوس، وكانوا كلهم وافدين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد واشترطتم عليه إذا بقى بينكم أن ينتصر ولقد كان فى أسبانيا ملايين وملايين من المسلين وكان فى جنوب فرنسا وفى شمال إيطاليا وجنوبها مئات الألوف منهم، ولبثو فى هذه الأوطان أعصراً مديدة، ولا تزالون تستأصلونهم حتى لم يبق فى هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام ولقد طفت ببلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم.[92]

---

[90] ساطع الحصرى، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، 1960م، ص 37.
[91] على حسون، تاريخ الدولة العثمانية، دمشق، 1980، ص 54.
[92] محمد مورو، مرجع سابق، ص 193.

الخاتمة

من خلال استعراض هذه الدراسة حول موضوع "مدارس الأقليات فى الدولة العثمانية" نستطيع أن نؤكد أن العثمانيين انطلقوا من خلال الإسلام كأساس للتعامل مع الأقليات غير المسلمة (خاصة اليهود والنصارى) وعلى هذا لم تكن نظرتهم تجاههم عنصرية فكانت لهم امتيازات حصلوا عليها بموجب الشريعة الإسلامية التى ضمنت لهم أموالهم وأرواحهم وعقائدهم، ولذلك حرصت الدولة العثمانية على حماية الأرواح والأموال ودور العبادة طالما كان هؤلاء لا يشكلون خطراً على الدولة من خلال اتصالهم بالدول الأجنبية.

وفى عهد التنظيمات (1839 – 1871م) أصبح لهم حقوقاً أكبر أتاحت لهم المشاركة فى الحياة السياسية من خلال اختيار من يمثلهم أمام السلطات العثمانية، وكانت الدولة تسمح لهم أن يكون لهم مدارسهم الخاصة بالإضافة للسماح لهم بإعادة ترميم دور العبادة ومنحهم التراخيص لبناء دور عبادة جديدة.

وكان للدولة العثمانية دور كبير فى تدخلها لفض النزاعات التى كانت تحدث بين الملل والطوائف بسبب نشاط الإرساليات التبشيرية التى كانت تثير كثير من المشاكل وتحرص على خلق أوضاع غريبة شاذة عن المجتمع وتخلق مناخ خصب للتدخلات الأجنبية.

ومما سبق عرضه فقد توصلنا للنقاط التالية فى دراستنا وهى:

1- أن الأقليات غير المسلمة قد حصلت فى ظل الدولة العثمانية على كل أنواع الحرية والمساواة والأمان والرفاهية التى قل أن تتوافر فى أى مجتمع أوروبى آخر.
2- أن بعض الأقليات غير المسلمة رغم كل المعاملة الحسنة والتسامح الكبير لم يشعروا أنهم جزء من المجتمع المسلم، بل يشعرون أنهم نسيج بمفرده وأحداث التاريخ توضح ذلك.
3- أن بعض الأقليات لم تكتف بانطوائهم عن مجتمعاتهم المسلمة التى يعيشون بها بل أصبحوا طابوراً خامساً لأعداء الأمة المسلمة ينقلون أخبارهم ويقفون بالمرصاد للمسلمين.
4- أن الأقليات غير المسلمة لم تحيك المؤامرات أو تتعاون مع أعداء الإسلام إلا فى فترات ضعف عقيدة الانتماء عند المسلمين وإطلاق المحافل الماسونية والمدارس التبشيرية والإرساليات كما حدث فى عهد السلطان محمود الثانى مما كان سبباً أدى فى النهاية لسقوط الدولة العثمانية.

5- إن المشاكل التى تسبب فيها الأقليات لم تكن لتحدث لو أن المجتمع المسلم كان ملتزماً بشريعة الإسلام متمسكاً بعقيدته.

6- إن الشعور بالأقلية لدى أبناء الطوائف هو فى النهاية حالة نفسية، وما كان هذا الشعور إلا نوعاً من العصبية، لا يختلف عن عصبية العشائر البدائية وإن تخفى فى زى الدين، وأضيف إلى ذلك فأقول إن وعى الأكثرية الدينية أو الطائفية لأكثريتها هو أيضاً ضرباً من العصبية البدائية.[93]

7- والعصبيات من هذا النوع أو ذاك لا تفيد فى أى مجتمع، سواءً فى المشرق العربى أو فى غيره من بقاع العالم، وأهم ما تورثه هذه العصبيات هو الإضرار بمصالح الناس دون التفرقة بين الأكثرية والأقلية، وهناك من شعوب العالم فى العصر الحديث من تعلم كبح جماح العصبية الفئوية من أى نوع كان ووضع الولاء للوطن أو للدولة أو المجتمع أو للمصلحة العامة ومنها مصلحة الفرد فوق الولاء لعصبية الفئة، سواءً كانت هذه العصبية دينية أو غير دينية، وهناك فى العالم الحديث شعوب لم تتعلم ذلك بعد، ولابد من ثمن تدفعه عاجلاً أم آجلاً إن هى لم تتعلم هذا الأمر.

(93) كمال سليمان الصليبى، طبيعة الأقليات الدينية فى المشرق العربى، مجلة المستقبل العربى، عدد 46، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1982م، ص 42.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

1. إبراهيم خليل أحمد، تطور التعليم الوطني في العراق (1863 – 1932)، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1982م.
2. إبراهيم هاشم، المجمع اللبناني رائد التعليم المجاني والالزامي، عدد 3، المنارة.
3. أحمد إبراهيم خليل، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، 1516 – 1918م، الموصل، 1983م.
4. أحمد سامح الخالدي، أنظمة التعليم، ج1، بيت المقدس، 1933م.
5. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ط2، دمشق، د.ت.
6. أحمد طربين، لبنان في عهد المتصرفية إلى بداية الانتداب (1861 – 1920م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1968م.
7. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003م.
8. أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، بيروت 1997م.
9. أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، ج1، إستانبول، 1999م، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفتوى والثقافة الإسلامية، إستانبول.
10. أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، ج2، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول، 1999م.
11. بان غانم أحمد الصباغ، سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية، دراسة تاريخية، مجلة التربية والعلم، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، العراق، مجلد 19، عدد 5، 2012م.
12. بطرس لبكي، تطور مؤسسات التعليم في لبنان خلال القرن الأخير من الحكم العثماني، المجلة التاريخية المغربية، عدد 57، 58، تونس 1990م.
13. البطريرك روفائيل بيداويد، الكنيسة الكلدانية، مجلة المنارة، عدد 27، 1986م.
14. بيار رافال، المسيحيون في الشرق في القرنين الثاني والثالث، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجموعة مؤلفين تحرير حبيب بدر، سعاد سليم وجوزيف أبو نهرا، ط2، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، 2002م.
15. توفيق على برو، العرب والترك في العهد الدستوري (1892 – 1914م) القاهرة، 1960م.
16. توماس أرتولد، الخلافة، ترجمة جميل معلى، دمشق، 1946م.
17. جمال أسد مزعل، نظام التعليم في العراق، الموصل، 1989م.
18. جمال زكريا قاسم، الخروج العربي عن الدولة العثمانية في كتاب "العلاقات العربية التركية من المنظور العربي والتركي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1991م.
19. جمع عبد الجليل التميمي، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية في العهد العثماني، 1988م.
20. جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير 1869 – 1918م، بغداد، 2002م.
21. جوزيف أبو نهرا، المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني، مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات، جامعة القديس يوسف، 2013م.
22. حسن عبد الملك الحسني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، تقديم سلامة صالح النعماني، عمان، 1985م.
23. حسن عثمان، مصر العثمانية في كتاب المحمل في تاريخ مصر العام، حسن إبراهيم حسن للنشر والتوزيع، القاهرة، 1942م.

24. خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشـــوء إلى الانحدار، ترجمة د. محمد الأرناؤوطي، ج1، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت ، لبنان، 2002م.
25. دومونيكولانزا، الموصل فى القرن الثامن عشر، مطبعة الشرقية الحديثة، الموصل، العراق، 1953م.
26. ساطع الحصرى، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، 1960م.
27. سعيد الديوجي، مدارس الموصل فى العهد العثمانى، مجلة سومر، ج2، مجلد 18، بغداد، 1962م.
28. شاكر الخورى، مجمع المسرات، مطبعة الاجتهاد، بيروت، 1980م، ص 15.
29. عايف حبيب العاني، التعليم فى العراق من أواخر القرن التاســع عشــر إلى العقود الأولى من القرن العشرين، دراسة فى كتاب التربية الإسلامية، ج4 مؤسسة آل البيت، المجمع الملكى لبحوث الحضارة، عمان، الأردن، 1990م.
30. عبد السلام عبد العزيز فهمي، السلطان محمد الفاتح، بيروت، 1975م.
31. عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984م.
32. عبد القادر النعيمى، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحســنى، ج2، دمشق، 1987م.
33. عبد الكريم رافت، العرب والعثمانيون 1516 – 1916م، دمشق، 1974م.
34. عزت أحمد عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصــر فى عصــر محمد على، القاهرة، 1983م.
35. عزيز ســامح التر، الأتراك العثمانيون فى أفريقيا الشــمالية، القســم الأول، تعريب محمود على عامر، بيروت، 1989م.
36. على حسون، تاريخ الدولة العثمانية، دمشق، 1980م.
37. على شــيت محمود الحياني، اليهود في الموصــل 1921 – 1952، دراســة عامة أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2012م.
38. غانم سعيد البعيدى، التعليم الأهلى فى العراق فى مرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، بغداد، 1970م.
39. فاضــل مهدى بيات، دراســات في تاريخ العرب في العهد العثمانى، رؤية جديدة فى ضــوء الوثائق والمصــادر العثمانية، دار المدار الإسـلامى، مجلد 1، ط1، بيروت، لبنان، 2003م.
40. فتاوى الحاخام ديفيد بن زماره، ج1، الفتوى 100، فتاوى الحاخام يوم طوف، ج2، فتوى 33، ليتمان المجتمع اليهودي في مصر.
41. فتاوى الحاخام كيوســى، فتوى رقم 1، فتاوى الحاخام شــلومو هومين، ج1، فتوى 27.
42. كاترين مايور جاوين، نهضــة الكنائس فى نهاية العصــر العثمانى "المسـيحية عبر تاريخها فى الشرق".
43. كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة فى الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية، مكتبة مدبولى، القاهرة، 2002م.
44. كمال سليمان الصليبى، طبيعة الأقليات الدينية في المشرق العربى، مجلة المستقبل العربى، عدد 46، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1982م.
45. لمي عبد العزيز مصـطفى، نسـيبة عبد العزيز الحاج علاوي، موقف الدولة العثمانية فى الأقليات غير المســلمة، مجلة الملوية للدراســات الآثارية والتاريخية، مجلد 4، عدد 10، سنة 4 تشرين الثاني 2017م.
46. لويس ساكو، الموصل حسب رحلة بادجر، مجلة بين النهرين، العدد 9، 10، السنة الثالثة، الموصل، 1975م.

47. ليلى الصباغ، الجاليات الأوربية فى بلاد الشام فى القرن السادس عشر والسابع عشر، ج1، بيروت، 1989م.
48. محمد أحمد أنيس، مدرسة التاريخ المصرى فى العهد العثمانى، نشر معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1962م.
49. محمد جميل بيهم، العرب والترك فى الصراع بين الشرق والغرب، بيروت، 1957م.
50. محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثمانى، بيروت، 1967م.
51. محمد حسن العيداروس، الحياة الفكرية فى شرقى الجزيرة العربية فى العهد العثمانى (1870 – 1922م)، المجلة التاريخية المغربية، عدد 57 ، 58، تونس، 1990م.
52. محمد عيسى صالحية، الحركة الفكرية فى فلسطين فى العهد العثمانى، المجلة التاريخية المغربية، عدد 59، 60، أكتوبر 1990م.
53. محمد فؤاد كوبرللى، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، 1967م.
54. محمد فؤاد كوبرللى، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد سعيد سليمان، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.
55. محمد فؤاد كوبريللى، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، 1967م.
56. محمد فريد بك المحامى، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، 1977م.
57. محمد مورو، الأقليات المشكلة والحل، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2009م.
58. محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، حيفا، 1909م.
59. مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثمانى، ترجمة كمال خوجه، دار السلام، بيروت، 1980م.
60. نور الدين حاطوم، نشاط البعثات الأجنبية الدينية فى العالم العربى، معهد الدراسات التاريخية والجغرافيا، القاهرة، 1960م.
61. ونالد كواترت، الدولة العثمانية 1700 – 1922م، تعريب أيمن الأرمنازى، العبيكان، مطابع جامعة كامبردج، الرياض، السعودية، 2004م.
62. ياسين شهاب شكرى، ولاية بغداد (1872 – 1909م) دراسة فى أوضاعها الاقتصادية والإدارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1994م.
63. يعقوب لانداو، تاريخ اليهود فى مصر فى الفترة العثمانية 1517 – 1914م، ترجمة جمال أحمد الرفاعى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

64. Albert Hourani, the Ottoman Background of the Modern Middle East, Essex, 1910, P. 9.
65. Archives des Affaires Etrangers Francasis (A.A.E.F) Corresp por Beyrowth Registre.